جدلية التفسير و التأويل

The Controversy of Explanation and Interpretation

م.د عزام فرحان شهاب الربيعي [1] Lect. Azzam F. Shahab Al-Rubaie

الخلاصة

تناول البحث الجدلية القائمة بين التفسير و التأويل ومعانيهما اللغوية و الاصطلاحية وانواعهما و اقسامهما وما يتعلق بهما من مفاهيم كالمناهج والاتجاهات التفسيرية، واثبت نوعين من التأويل: الاضطراري والاختياري، واستدل على عدم الفرق العملي بين التفسير والتأويل بالآيات و الاحاديث وغيرها مفنداً الآراء التي تفرق بينهما بوجوه ظاهرية مردودة ومثبتاً عدم تطابق ذلك مع افكار الهرمنيوطيقا التي تجرد النص من قصد المؤلف وتقيده بثقافة زمانه، فتحرر فهم المفسر من قيود القرائن الحالية والمقالية.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التأويل، المناهج التفسيرية، الاتجاهات التفسيرية، الهرمنيوطيقا.

Abstract

Conclusion the criminai research that existed between interpretation and interpretation and their linguistic meanings and reformayions and their types and residences and related concepts of ambiguous approaches and trends,and you know the compuisory and aptional interpretation of me, and inferred the practical difference between the interpretation and interpretation of the conversations of the hadiths and the reconstruction of the vesseis that divide them with aburger phenomenon in donia postta takes inconsistency with the ideas of al-harminoyta, which abstract the text from the authores priest and pays attention to his discretion, so liberate the understanding of inquiring about the restricyions of agar allen, the caring and the article.

[1]- جامعة اهل البيت -عليهم السلام-/ كلية العلوم الاسلامية.

المقدمة

لقد حث الاسلام على الاهتمام بالقران الكريم وتلاوته وتدبر آياته، بل أوجب تطبيق تعاليمه واحكامه واتخاذه دستوراً هادياً ينظم تفاصيل الحياة العامة والخاصة كمنهج حكيم ومستقيم يضمن سعادة البشر في الدارين، ومن الواضح ان ذلك كله لايتسنى الا بتفسير آياته ومعرفة معانيه في اعماق ذلك البحر المعطاء الذي يمدّه من بعده سبعة أبحر لإستخراج مفاهيمه العظيمة وكنوزه المعرفية و العلمية والفكرية التي لاتنضب، ومن هنا كان اهتمام المفسرين قديماً وحديثاً بتفسير القران وتأويل ظواهره وتطبيق اكبر عدد ممكن من المصاديق المعاصرة على مفاهيمه ونظرياته بغية ربطه بالواقع الاجتماعي و حلّه لمشاكله الحياتية، واحتاج ذلك ايضاً الى دراسات وابحاث قرآنية متنوعة ومنها معاني التفسير و التأويل وهل انهما مختلفان من وجه او وجوه معينة او انهما واحد ولا اختلاف بينهما الاّ في اللفظ والتسامح في الاصطلاح؟

ومن هنا كان هذا البحث الذي يتابع معاني التفسير و التأويل ويناقش الآراء المختلفة في التفريق بينهما ثم حاول ان يثبت عدم الفرق بين التفسير و التأويل في المفهوم و المصداق وان الخلاف في التفريق بينهما لفظي فقط ولا مشاحة في الاصطلاح، فالتأويل وجه من وجوه التفسير ونوع منه بحيث يمكن إطلاق لفظ التفسير عليه وكذلك العكس كما صنع معظم القدماء ومنهم ابن عباس والمبرد وابو عبيدة ومجاهد والطبري و الشيخ الطوسي و غيرهم، بل كما صنع القران الكريم نفسه، وكذلك احاديث النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- واهل البيت -عليهم السلام- التي لم تفرق أكثرها عند التأمل فيها بين التفسير والتأويل، بل واستخدمت احياناً احدهما بقصد الآخر، فالمفسر يمكن ان يفسر الآيات حسب ظاهرها أو حقيقتها والمتبادر منها ويمكن ان يفسرها حسب باطنها ووجوهها المحتملة الأخرى مع مراعاة القرائن والسياق ومقتضيات العقل والعقيدة، وكل ذلك بالادلة والشواهد والامثلة القرانية.

كما لابد ان لا يشتبه بين هذا المعنى وان التفسير و التأويل هما واحد عملاً وبين مفاهيم وافكار الهرمنيوطيقا المعاصرة، فلا علاقة لذلك كله بالهرمنيوطيقا ومحاولة الانفراد بالنص وعزله عن مؤلفه وقصده، وبذلك لابد ان نميّز بين نوعين من قواعد فهم النصوص فنتقبّل احدهما ونرفض الآخر كما ستتضح تفاصيل ذلك في ثنايا البحث.

وكذلك ينبغي عند محاولتنا استخراج الآيات واعطاء معانيها التأويلية ان نميّز بين نوعين من التأويلات وهي الاضطرارية و الاختيارية وأهم فرق بينهما هو في قبول المعنى الاخر وعدمه.. وهكذا كان لزاماً حينئذ استعراض انواع المناهج التفسيرية ونفرّق بينها و بين الاتجاهات التفسيرية و الاساليب التفسيرية والمعاني التفسيرية، وبذلك يتبادرالى الذهن رأي ابن عباس في تقسيم انواع التفسير فلابد من ذكره ايضاً وابداء الراي فيه.

إصطلاحات وفوارق:

لابد في هذا البحث اولاً من التطرق الى تعريف بعض المصطلحات المهمة ومعرفة الفوارق بينها كمدخل للوصول الى النتائج النهائية.

وهذه المصطلحات هي:

التفسير:

يمكن تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح لكي يتسنى لنا بعد ذلك النظر في الفوارق الممكنة بين التفسير والتأويل..

التفسير لغةً: أصله من (سفر) و (فسر) أي اتضح او انكشف، ومنها اسفر الصبح أي ظهر وبان[٢]..

وعليه فالتفسيرهو الاتضاح والانكشاف والظهور من الخفاء..

ولكن الراغب فصل بينهما فقال:

(جُعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجُعل السفر لإبراز الاعيان للابصار)[٣] وعليه يكون التفسير من الفسر لا من السفر وهو الأقرب.

التفسيراصطلاحاً: يرى العلامة الطباطبائي ان مفهوم التفسير هو بيان معاني الايات القرانية وكشف مقاصدها ومداليلها.[٤]

وعليه فالتفسير يتصدى لبيان الدلالة التصورية للايات أي مفهوم المفردات ومعاني الالفاظ، وكذلك بيان الدلالة التصديقية الأولى أي المراد الاستعمالي للالفاظ والايات وبيان الدلالة التصديقية الثانية أي المراد الجدي للايات وتوضيح ومدلولها.

بينما اختصرها الطبرسي في اللفظ: (التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل)[٥]. ويمكن ان نَعدَّ كلامه وجها اخر لكلام الطباطبائي -رحمه الله- لان الايات تتكون من مجموع الالفاظ ومعانيها[٦].

اما الترجمة: فهي بيان معاني الالفاظ الظاهرية ومدلولاتها التصورية.

التأويل:

في اللغة: هو من الأول وهو الرجوع الى الأصل الاوّل[٧].

في الاصطلاح: هو الرجوع في تأويل المتشابه الى المحكم، فالمحكم هو المرجع الذي يرجع اليه، في تأويل القران، وهو المأخذ الذي تؤخذ منه معارفه[٨]..

وقد تعددت الآراء في معنى التأويل فمنهم من يرى ان التأويل يعنى بيان باطن الالفاظ او بيان المصاديق الأخرى للمفهوم غير المصداق الاول الذي يمثله الظاهر او سبب النزول[٩].

وقد ورد في القران الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١٠].

٢- الراغب الاصفهاني المفردات مادة سفر.

٣- المصدر السابق.

٤- الميزان في تفسير القران، الطباطبائي، ج١،ص٧.

٥- الطبرسي مجمع البيان ج١ ص١٣.

٦- راجع تفاصيل أخرى حول المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير في كتاب: المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير، ص١٥- ٢٠.

٧- الراغب الاصفهاني المفردات مادة اوّل.

٨- تفسير الميزان للطباطبائي ج٣ ص٢٧.

٩- راجع: المبادئ العامة لتفسير القران، د. محمد حسين الصغير، ص٢١.

١٠- سورة ال عمران، من الاية ٧.

والمراد من ابتغاء الفتنة طلب ضلال الناس بالشبهات والتلبيس من خلال اتباع المتشابه دون الرجوع به الى المحكم[١١]..

وفي الجملة فالتأويل هو ارجاع الشئ المبهم (من الكلام والفعل والقول) الى حقيقتة وواقعه، وفي حديث الامام الباقر-عليه السلام- عن الفضل بن يسار قال: (سألت ابا جعفر عن هذه الرواية: ما من القران آية الاّ ولها ظهر وبطن؟ فقال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما قد مضى ومنه مالم يكن يجري كما يجري الشمس والقمر)[١٢].

ومنه يُعرف ان الفرق بين التفسير والتأويل هو الظاهر والباطن على بعض الآراء، بناءاً على ان المقصود من التنزيل هنا هو التفسير.

التدبّر:

معنى التدبرفي اللغة [١٣]: دبر الشئ عقبه و مؤخره، وتدبّر الامر أي تأمله و تفكر فيه على مهل ونظر في عاقبته، ومنه تدبر القران، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القران أم على قلوب أقفالها﴾[١٤]

وجاء في معنى التدبر لغة ايضاً: اخذ الشيء بعد الشيء[١٥].

وفي الفلسفة و التصوف: التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، أو استغراق الذهن في التفكير في موضوع الى حد يجعله يغفل عن الاشياء الاخرى، والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل[١٦].

وفي اصطلاح علوم القران: التفكر في غايات القران ومقاصده من خلال التفهم و التأمل في معاني الايات ومبانيها[١٧].

وجاء كذلك: التدبر في القران الكريم هو التأمل في الاية عقيب الاية، او التأمل بعد التأمل في الاية[١٨].

مفردة التدبر في القران:

وردت لفظة التدبر بالقران الكريم في اربع ايات هي:

١. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١٩].
٢. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢٠].
٣. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢١].
٤. ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢٢].

١١- راجع: تفسير جامع البيان، الطبري، ج٢، ص٥٠.
١٢- وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص ٢٥٤. بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار، ص ٢٢٣.
١٣- المعجم الوسيط، لسان العرب، القاموس المحيط: مادة دبر.
١٤- محمد: ٢٤.
١٥- راجع تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج٥، ص١٩.
١٦- راجع: التحقيق في كلمات القران الكريم، العلامة المصطفوي، ج٩، ص١٤.
١٧- نقلا عن شبكة جمعية مكنون - الانترنت (بتصرف).
١٨- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج٥، ص١٩.
١٩- سورة النساء من الاية ٨٢.
٢٠- سورة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- من الاية ٢٤.
٢١- سورة المؤمنين من الاية ٦٨.
٢٢- سورة ص من الاية ٢٩.

ولا يخفى ما في هذه الايات من الحث على تدبر القران لكل من يعرف العربية عالما كان او غيره مفسرا كان او غيره والاستفادة من ذلك كلٌ بحسبهِ، بل جعل قوله تعالى في الاية الرابعة التدبر في القران والاعتبار منه هو الغاية من انزالهِ[٢٣].

الفرق بين التدبر و التفسير:

بناءاً على كل ماتقدم يمكن القول بأن التدبر هو محاولة كشف معاني الايات ووضع احتمالات لمفاهيمها ومداليلها من خلال التفكير و التأمل في مفرداتها وتعابيرها وقرائنها..

بينما التفسير هو الكشف لمعاني الايات وبيان مفاهيمها ومداليلها ومصاديقها نفسها والترجيح بين احتمالاتها بالادلة العقلية والنقلية واللبيّة واللغوية وغيرها.

الفرق بين التأويل والتفسير:

هناك عدة أقوال في محاولة ايجاد الفرق بين التفسير والتأويل نذكرها بأختصار[٢٤]:

١. لا يمكن عملاً ايجاد فرق بين التفسير و التأويل، فالتفسيرهو التأويل بلا فرق بينهما.
٢. التفسير اهم من التأويل، لأنه يكون في الالفاظ، بينما يكون التاويل غالبا في المعاني واحتمالاتها.
٣. التفسير توضيح المشكل من الالفاظ، بينما التاويل رد المحتمل الى الظاهر.
٤. التفسير يكون للالفاظ المفردات والتأويل للجمل غالبا.
٥. التفسير قطع بالمراد، اما التأويل فيكون محتملا لهذا المراد او ذاك مع الترجيح بدليل وقرينه.
٦. التفسير هو المعنى الحقيقي، والتأويل هو توضيح المعاني المجازية او الكناية والاستعارة.
٧. التفسير بيان الحقيقة والمجاز معاً، بينما يعتني التأويل بباطن اللفظ.
٨. التفسير بالرواية والنقل، بينما التأويل بالدراية والاجتهاد واستنباط العلماء والمفسرين.
٩. التفسير بالظاهر والتأويل بالسماع والنقل.
١٠. التفسير بالسماع والنقل بينما التأويل توضيح الظواهر وتوكيدها (عكس التاسع).

وعلى هذا يمكن إضافة ٣ اراء أخرى في الفرق بين التفسير و التأويل وهي:

١. التفسير بيان ظاهر القران، والتأويل بيان باطن القران خلاف ظاهره.
٢. التفسير يحدد معنى المفهوم، التأويل يجسد المصاديق في الواقع.
٣. التفسير هو المصداق الأول للاية، بينما التأويل هو بيان المصاديق الأخرى الممكنة للاية، وغالبا فان المصداق الأول هو المصداق المتعارف في عصر النزول اما المصاديق الأخرى فهي التي تتحدد عبر العصور، ولهذا يقال التأويل مقابل التنزيل..

وبه قال النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- لأمير المؤمنين -عليه السلام- (يا علي تقاتل على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل)[٢٥].

٢٣- راجع: تفسير البحر المديد، ابن عجيبه الاندلسي، ج٦،ص٣٢٨، فهم القران، المحاسبي، ص٢٧٥.

٢٤- للمزيد من التفاصيل راجع كتاب: المبادئ العامة لتفسير القران، محمد حسين الصغير، ص ٢٠- ٢٣، كتاب التمهيد في علوم القران، محمد هادي معرفة، ج١، ص٢٥-٣٠.

٢٥- امالي الطوسي، الشيخ الطوسي، ج١، ص٤٠٠/ الفصول المهمة في أصول الائمة، الحر العاملي، ج٢، ص١١٦.

ومن امثلته قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢٦] حيث نزلت في علي-عليه السلام-[٢٧]، فهو مصداقها الأول والمتعارف في زمان نزول الاية، ولكن يمكن تأويلها لمصاديق أخرى تفدي نفسها لله تعالى وتبيعها بأي شكل من اشكال التضحية والفداء وفي أي وقت ومكان، مادام اصل القضية محفوظاً والنية خالصة لوجهه تعالى والهدف ابتغاء مرضاة الله وقربه سبحانه.

الرأي الصحيح في التفسير والتأويل:

رغم ما ذكرناه من الاراء في التفريق بين التفسير و التأويل؛ الا انه يمكن استظهار ان التفسير والتأويل كلاهما واحد في المعنى والواقع وفي المفهوم والمصاديق، خصوصاً على تعريف الطباطبائي صاحب الميزان للتفسير والذي قال فيه (ان مفهوم التفسيرهو بيان معاني الايات القرانية وكشف مقاصدها ومداليلها)[٢٨].

مناقشة الاقوال:

ليس هناك من داعٍ للتفريق بينهما بهذا الشكل الذي أُشكل وصعب حتى على بعض الذين حاولوا إيجاد فرق بينهما، فتعددت الآراء فيها الى اكثر من خمسة عشر رأيا يبدو منها انها تتقاطع فيما بينها أحيانا وتتقارب بل وتتطابق أحيانا أخرى ويكثر فيها الجدال والاختلاف بلا ثمرة عملية واضحة، فان الوجدان والواقع العملي يشهدان بأن التفسير في حقيقته الذي يكشف عن المعنى المراد هو كاشف عن مصاديقها أيضا بلا فرق بين كون هذا المصداق هو الأول وكونه هو السبب للنزول وبين كونه يعبّر عن مصاديق أخرى يمكن ان ينطبق عليها المفهوم نفسه بعدما عرفنا ان السبب لا يخصص المسبب، او ان المورد لا يخصص الوارد، أي ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد تعارف ذلك عند الباحثين في أسباب النزول[٢٩]، وبهذا يُفهم قول الامام الباقر -عليه السلام-: (ان القران يجري فيهم كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء...)[٣٠].

ولكن التوهم في الفرق بينهما جاء بعد ملاحظة متكررة من استعمال لفظة التأويل في محل التفسير عند بعض القدماء كمجاهد وأبو عبيده وابن عباس بل حتى عند أمثال ابن جرير الطبري وغيرهم كما سيأتي[٣١].

والمفسر في نهاية المطاف اما ان يفسر هذه اللفظة او تلك بالمعنى الظاهر او المتبادر والحقيقي، واما ان يرى ذلك غير مناسب لأي أمر كان عقلياً او نقلياً او واقعياً او تاريخياً فيفسره بخلاف الظاهر منه او يفسره بالمجاز او بالكناية وما شابه بخلاف الظاهري والمتبادر، وهكذا، وذلك التفسير هو الذي قد يصطلح عليه

٢٦- سورة البقرة: الاية ٢٠٧.

٢٧- ذكره القرطبي بين عدة تفاسير للآية الكريمة فقال في تفسيره (٢١/٣): وقيل نزلت في علي-رضي الله عنه- حين تركه النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- على فراشه ليلة خرج الى الغار وذكره ابو حيان الاندلسي في تفسيره (البحر المحيط ٢/ ١٢٧) قال: وقيل: في علي حين خلّفه رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم- وذكر ما قاله الثعلبي ابن حجر العسقلاني في (العجاب في بيان الأسباب (٢٥٩/١). وقال الآلوسي في تفسيره (٩٧/٢): وقال الامامية وبعض منا: انها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه حين استخلفه النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- على فراشه بمكة لما خرج الى الغار. وذكره ابن عساكر في (تاريخ دمشق ٦٧/٤٢) عن ابن عباس وبسند اخر عن ابن عباس (٤٢/ ٦٨). وذكره ابن الاثير في (اسد الغابة ٢٥/٤) والمقريزي في (امتاع الاسماع ١/ ٥٧).

٢٨- الميزان في تفسير القران، الطباطبائي، ج١،ص٧.

٢٩- راجع: اسباب النزول، الواحدي، ص١٩٥، موجز علوم القران، داوود العطار،ص١٣٥، علم اصول الفقه، عبد الوهاب خلاف،ص١٨٩.

٣٠- بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٨٩، ص٩٧/ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص٢٢٢.

٣١- تحت عنوان: الادلة و الشواهد، الفقرة ٢-٣.

البعض بالتأويل لا التفسير، ولا مشاحة في الاصطلاح، خصوصاً بعد التأمل في هذه الاقوال التي يمكن ارجاع بعضها الى البعض الآخر ومن ثم عودتها في نهاية المطاف بتفاصيلها الى معنى واحد هو الاصل الذي تفرعت منه وهو ان التفسير و التأويل معرفة معاني الآيات والمقصود منها ومداليلها ومصاديقها سواءاً كانت من الظاهر او باللجوء الى الباطن اظطراراً.

الادلة و الشواهد:

يمكن الاستدلال على عدم الفرق بين التفسير و التأويل عملياً بما يلي:

١. ان المعاني اللغوية والاصطلاحية للتفسير والتأويل[٣٢] تدل على تطابقهما او تقاربهما على الاقل، بحيث يظهر للمتأمل انهما يرجعان الى اصل ومعنى واحد، فاذا كان المعنى اللغوي للتفسير هو الكشف والبيان، ومعناه الاصطلاحي هو: بيان معاني الايات القرانية وكشف المراد منها ومقاصدها ومداليلها، وهكذا كان تعريف التأويل بانه لغة: الرجوع الى الأصل الأول، واصطلاحا هو: بيان باطن الايات القرانية وإظهار مصاديقها المختلفة والكشف عن معانيها المتنوعة (ومن المعلوم ان بيان المعنى والكشف عن المراد منه هو رجوع به الى اصل المعنى الأول واشتقاقاته ومعانية وتشخيص مصاديقة الممكنة) فهما اذن من الأمور المتلازمة ان لم نقل انهما شئ واحد عملياً، ولهذا صار كل من التفسير و التأويل بعهدة المفسر نفسه الذي لابد له من ان يعطي المعنى النهائي المراد للآية ظاهراً كان أم باطناً [٣٣].

بشرط ان لايكون ذلك الانتقال الى الباطن اعتباطاً او مخالفاً لقواعد العربية او للذوق اللغوي العام او مستنحيلا في معاني المفردات وبلا شاهد، بل لابد ان يكون معنى محتملاً منطقياً ومنسجماً مع الظاهر، بل اشترط البعض ان يكون جارياً على مقتضى اساليب العربية في مداليل الكلام بل وان يكون له مثيل مقرر من نفس القران [٣٤].

٢. ان هذا التطابق ثابت عند القدماء الى حد الترادف عند الاستعمال، ومنهم أبو عبيدة وأبو العباس المبرد ومجاهد والشيخ الطوسي وابن جرير الطبري وغيرهم[٣٥].. ومنهم ابن عباس في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[٣٦]، ومن المعلوم انهم أقرب للتشريع، بل عاش بعضهم زمن المعصوم -عليه السلام- فكيف لا يفهم الفرق بينهما ان كان، فلو كان لبان، ولأكد عليه المعصوم-عليه السلام- في كلامه وأوضح الفرق بينهما..

ان ذلك اذا لم يرقَ الى حد الدليل فهو قطعاً مؤيد واضح لما نحن فيه، وليس لمجرد التسامح من هؤلاء الأعلام على اختلاف توجهاتهم و ازمانهم.

٣٢- كما اوضحنا هذه المعاني بنصوصها في عنوان (اصطلاحات و فوارق) فراجع.

٣٣- راجع: التأويل في مختلف المذاهب و الاراء، محمد هادي معرفة، ص١٤.

٣٤- راجع: الموافقات، الشاطبي، ج٣، ص٣٩١.

٣٥- راجع: مجمع البيان، الطبرسي ج١، ص١٠٣، الاتقان، السيوطي ج٤، ص١٦٥.، التبيان في تفسير القران، الطوسي، ج٣، ص٣٩٨.

٣٦- سورة الكهف من الاية ٨٢.

٣. بعض اللغويين المعتمدين قد صـــرح في معنى التفســـير والتأويل بانهما واحد، مثل قول الجوهري: (التأويل: تفسير ما يؤول اليه الشيء)[٣٧] وقول الفيروزابادي: (اوّلَ الكلام تأويلاً وتأوّله: دبّره وقدره وفسره)[٣٨] وهكذا صنع ابن منظور في استعماله للتأويل بمعنى التفسير في مواضع متعددة[٣٩].

اما العلامة معرفة فقد ذكر ذلك أيضاً في كتابه التأويل، حيث قال:

(التأويل بمعنى الكشف عن المفهوم العام المختبئ وراء ستاراللفظ هو نوع تفسير يعني بالمفاهيم الباطنة، والتي تشكل رسالة الآية الخالدة يكشفها المفسر الخبير..)[٤٠]

٤. قول بعض المعصـومين -عليهم السلام- الذين لم يذكروا في نصـوصـهم الشـريفة التفسـير مقابل التأويل، بل ذكروا التنزيل مقابل التأويل، ويفهم منهم -عليهم السلام- انهم قصدوا بالتأويل التفسير نفسه.

ومن تلك الاقوال الكريمة الحديث الشريف للنبي الاكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو يخاطب الامام علي -عليه السلام-: (تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل)[٤١] فالظاهر منه اني اقاتلهم على الايمان بأصل نزوله من الله تعالى، واما انت ياعلي فستقاتلهم من بعدي على تفسيره ومعانيه ومصاديقه التي سينكرونها او يحرفونها.

وكذلك قول الامام الباقر -عليه السلام-: (ظاهره تنزيله وباطنه تأويله)[٤٢] والظاهر منه انه -عليه السلام- بصدد التفريق بين الظاهر والباطن من معاني الالفاظ وليس بين التفسير والتأويل ولا خلاف في وجود الظاهر والباطن في القران الكريم، فقد نزل القران بالفاظ لها ظاهر متعارف في لغة العرب وهو المتبادر منها او مصداقها الأول والاوضح ويمكن ان تستبطن هذه الالفاظ معان أخرى ومصاديق متعددة، وكل ذلك من مهام المفسر نفسه في كشفه وتفسيره وبيانه.

٥. ان القران الكريم يشـهد على ذلك فقد وردت كلمة (تأويل) او ما يقاربها مثل (تأويله) و(تأويلاً) في عشـرة مواضـع كلها كانت (بمعنى تفسـير) اما تفسـير الايات او تفسـير الالفاظ والاقوال او تفسـير الاحلام وهكذا، الا واحدة ولكنها خارجة عما نحن فيه وســتأتي. وذلك بشـــهادة عدة من كبار المفسـرين كما سـيتضـح ذلك، على ان الاربعة الأولى منها كانت في سـورة يوسـف -عليه السلام- وهي كالاتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ...﴾[٤٣].

٢- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[٤٤].

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾[٤٥].

٤- قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾[٤٦].

٣٧- الصحاح في اللغة، ج١، ص٢٧.
٣٨- القاموس المحيط، ج١، مادة اول.
٣٩- لسان العرب، ج٣، ص٢٣٨ وغيرها.
٤٠- التأويل، ص١٤.
٤١- دلائل الامامة، ابو جعفر الطبري، ص٦٥، الفصول المهمة، الحر العاملي، ج٢، ص١١٦.
٤٢- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٤، ص٢٥٤.
٤٣- سورة يوسف من الاية ٦، راجع تفسير الاية في تفسير ابن عاشور، الزمخشري، أيسر التفاسير للجزائري.
٤٤- سورة يوسف من الاية ٢١، راجع تفسير الاية في الدر المنثور، تفسير ابن كثير.
٤٥- سورة يوسف من الاية ١٠٠، راجع تفسير الاية في مفاتح الغيب للرازي، تفسير الالوسي.
٤٦- سورة يوسف من الاية ١٠١، راجع تفسير الاية في جامع البيان للطبري، تفسير البيضاوي.

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[٤٧].

٦- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٤٨].

٧- قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٤٩]

وفي هذه الاية فقط جاء تفسير (أحسن تأويلاً) أي أحسن عاقبة ومآلاً، ومن الواضح ان هذا أجنبي عما نحن فيه وخارج عنه لان التأويل هنا من المآل والعاقبة وليس من الأول والرجوع الى الأصل والكشف والتوضيح ولا هو في مقابل التفسير وما شابه ومع ذلك فيحتمل أيضا ان يكون (أحسن تأويلاً) في هذه الاية هو قوله تعالى نفسه: (أحسن تفسيراً): ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٥٠].

٨- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾[٥١].

٩- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ...﴾[٥٢].

١٠- قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾[٥٣].

وبضم هذه الأمور الخمسة الى بعضها سيتعاضد الدليل على كون التفسير والتأويل بمعنى واحد، وإذا تنزلنا وقلنا بان ذلك كله لا يصلح دليلا وقد يناقش فيه فعلى اقل تقدير يكون كل واحد من هذه الأمور الخمسة المذكورة مشيرا ومؤيدا على انهما واحد.

وبالجملة نقول: ان التأويل وجه من وجوه التفسير ونوع منه بحيث يمكن إطلاق لفظ التفسير عليه كما صنع معظم القدماء، فالمفسر يمكن ان يفسر الآيات حسب ظاهرها أو حقيقتها والمتبادر منها ويمكن ان يفسرها حسب باطنها ووجوهها المحتملة الأخرى مع مراعاة القرائن والسياق ومقتضيات العقل والعقيدة.

علاقة التفسير و التأويل بالهرمنيوطيقا:

قد يفهم مما تقدم عن معنى التفسير و التأويل و انهما عملياً بمعنى واحد تأييد فكرة الهرمنيوطيقا ونظرياتها المعاصرة ومحاولة تطبيقها على النصوص القرانية وتأويل معانيها حسب نظر المفسر او الناقد نفسه بمعزل عن رأي (المؤلف او الكاتب)!!

لكن الصحيح ان التفسير و التاويل لما كانا بمعنى الكشف عن المعنى المقصود و توضيح المفاهيم الجدية المرادة من النص القراني – وبالتالي من أي نص آخر سماوي او أدبي او فني او غيره– فهذا يمكن ان يكون قريباً مما اراده الفيلسوف الالماني فردريك شليرماخر رائد الهرمنيوطيقا فيما عرف عنها من انها قواعد فهم النصوص – والمفروض ان تكون من خلال القرائن الحالية و المقالية و ظروف النص نفسه والاجواء المحيطة

٤٧- سورة الكهف من الاية ٨٢، راجع تفسير الاية في تفسير ابن عطية، تفسير ابن عباس.

٤٨- سورة النساء من الاية ٥٩، راجع تفسير الاية في تفسير القران، للشيخ الطوسي، ج٣، ص٢٣٦.

٤٩- سورة الاسراء من الاية ٣٥، راجع تفسير الاية في تفسير الطبري، تفسير الاصفي للفيض الكاشاني وغيرها.

٥٠- سورة الفرقان من الاية ٣٣.

٥١- سورة ال عمران من الاية ٧، راجع تفسير الاية في مجمع البيان للطبرسي، تفسير الطبري.

٥٢- سورة الأعراف من الاية ٥٣، راجع تفسير الاية في تفسير الماوردي، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

٥٣- سورة يونس من الاية ٣٩، راجع تفسير الاية في تفسير الوجيز، تفسير ابن كثير، تفسير التبيان للطوسي، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

به وسبب صدوره ومنها معاني مفردات النص وثقافته السائدة في زمانه- ومما قصده دلتاي في منهجه التأويلي لنصوص اللاهوت؛ وهو ما يوضح العلاقة الحميمة التي لايمكن انكارها بين القصد و النص و التفسير(او الكاتب والمتن والناقد) الى الحد الذي يراها شليرماخر مساواة بين المفسر و المؤلف بحيث يحل المفسر مكان المؤلف عن طريق اعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص؛ وهذا بنظره هو الاساس للفهم الصحيح[٥٤]..

هذا كله مما يمكن قبوله في فهمنا للنصوص عامة و النص القراني خاصة وتحديد مصداقه وامكانية شموله لمصاديق اخرى حسب قواعد: الجري والتطبيق؛ وتنقيح المناط؛ و مناسبات الحكم و الموضوع..

اما اذا كان المقصود من هذه القواعد في الهرمنيوطيقا المعاصرة عزل المؤلف عن نصه وترك قصده منه تماماً حين تفسير النص بحيث تكون النصوص أشبه بالقوالب الفارغة القابلة لأي معنى!! كما يرى ذلك عبد الكريم سروش و محمد اركون وهاشم صالح و امثالهم: (الالفاظ لا تحمل معنى، فهي خالية من المعاني ولكنها يمكن ان تتقبّل أي معنى يرد عليها..)[٥٥] وكذلك: (النص في حقيقته امر مبهم ويمكن ان يعطي عدة معاني..)[٥٦] فلا يمكن قبول ذلك، ولا يمكن مشابهته بالتفسير و التأويل كما عرفنا؛ لأن ذلك بأختصار سيوقع المفسر في تقويل المؤلف مالم يقله وتحميل النص ما لا يحتمله حينما يختلي بالنص المفسر وحده ويبتعد عن قصد مؤلفه فينفتح المجال امامه لتأويلات النص حسب ميوله و توجهاته الخاصة، وهذا بعينه الفوضى في فهم النصوص.

أنواع التأويل:

التأويل حيث يكون تفسيراً للايات خلاف الظاهر والمتبادر منها؛ يمكن ان نقسمه على نوعين اساسيين فمنها اضطراري ومنها اختياري.

١- الاضـــطراري: وهو التأويل الذي لابد من القول به وترك الظاهر من الايات، وذلك اذا كان الظاهر يتعارض مع العقل والعقيدة او العرف والذوق العام والمنطق السليم..

اما مثال تعارض الظاهر مع العقل فهو مثل قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾[٥٧]. حيث تؤول اليد بالقدرة والسلطنة، لان ظاهر اليد هي اليد الجارحة المعروفة عند الانسان والمخلوقات وهذا يصطدم مع العقل لانه يعني تجسيم الباري تعالى، فالعقل يحكم باستحالة كون واجب الوجود جسماً لأن الجسم يتكون من أجزاء مركبة وتحتاج بعضها الى بعض بينما نجد ان واجب الوجود بسيط مطلق لا يحتاج شيئا والا ما كان واجبا، كما هو واضح في الفلسفة بشكل مفصل.

اما مثال تعارض الظاهر مع العقيدة الصحيحة فهو مثل قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[٥٨] حيث تؤول المعصية هنا بترك الأَولى لان كل نبي معصوم ملتزم بالاوامر والنواهي الالزامية الإلهية.

٥٤- لمزيد من التفاصيل راجع: التأويل، محمد هادي معرفة، ص١٥٨- ١٦٤،اشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد ابو زيد، ص١٩-٢٤.

٥٥- مترجم عن الفارسية بتصرف من كتاب: القبض و البسط في الشريعة، عبد الكريم سروش، ص٢٨٨.

٥٦- مترجم عن الفارسية بتصرف من كتاب: التعددية الدينية، عبد الكريم سروش، ص١٧.

٥٧- سورة الفتح من الاية ١٠.

٥٨- سورة طه من الاية ١٢١.

اما مثال تعارض الظاهر مع المنطق العام والذوق السليم والعرف فهو مثل قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا﴾[٥٩]، حيث تؤول الاعمى هنا الى عمى البصيرة عن الهدى والحق، ومن غير المقبول عرفا ومنطقاً ان يقال هنا بعمى العين المعروف.

٢- الاختياري: وهو التأويل الذي يمكن القول به من باب التوسع في المفهوم وفي المصاديق بدليل وحجة، ويمكن تركه والاخذ بالظاهر فقط مادام ليس فيه تعارض مع العقل او العقيدة او غيرها.

ومثال التأويل الاختياري قوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك﴾[٦٠]، فقد جاء في تأويلها انها أمر بالتواضع وترك التكبر والخيلاء[٦١]، وجاء في تفسير الامثل ان تأويلها:(رعاية الإعتدال في العمل والكلام، لأنّ التأكيد على الإعتدال في المشي أو إطلاق الصوت هو من باب المثال في الحقيقة)[٦٢]، بل ويمكن أيضاً تأويل القصد هنا بالنية والارادة والتوجه كما هو في معناها اللغوي:

(قصد: توجه الى..والقصد: أرادة القيام بعمل وعقد النية عليه..)[٦٣] أي كن ناوياً متوجاً مريداً هادفا في حياتك ومسيرتك واعمالك ولاتكن عشوائيا متخبطاً على غير قصد ونية ولا هدى ودراية..

على ان هذه التأويلات الاختيارية لا تلغي إمكان الأخذ بالظاهر نفسه منه وهو الاعتدال في المشي المتعارف من غير بطء ولا سرعة مفرطة.

وبناءاً على ذلك فأن الفرق الأساسي بين التأويلين هو ان الاضطراري يلغي الظاهر نهائياً بخلاف الاختياري الذي يبقى فيه الظاهر محتملاً وممكناً جداً.

اقسام التفسير:

يمكن تقسيم التفاسير بعدة لحاظات تمثل كل واحدة منها مقسماً وجهةً معينة للتقسيم..

فمرة يقسم التفسير بلحاظ المناهج التفسيرية المتبعة الى:

التفسير القراني والتفسير الروائي والتفسير الاجتهادي والتفسير...

ومرة أخرى يقسم التفسير بلحاظ الاتجاهات التفسيرية الميول المتنوعة الى:

التفسير العلمي والتفسير الفقهي والتفسير اللغوي والتفسير...

ومرة ثالثة يقسم بلحاظ المعاني التفسيرية ومدى إمكان فهمه وتشخيص معانيه ومصاديقه الى:

تفسير لا يعلمه الا الله تعالى وتفسير يعلمه العلماء خاصة وتفسير يعرفه من عرف العربية وفنونها وتفسير...

وسياتي تفصيل هذه التقسيمات وامثالها:

على ان هناك تقسيمات بلحاظات وجهات أخرى أعرضنا عن الخوض فيها هنا مراعاة للاختصار وتقديراً لمقتضى الموضوع والمقام...

ومن امثلة هذه اللحاظات والجهات:

٥٩- سورة الاسراء من الاية ٧٢.

٦٠- سورة لقمان من الاية ١٩.

٦١- راجع: تفسير الطبري، ج٥، ص٤١٢.

٦٢- تفسير الامثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج١٢، ص٤٩.

٦٣- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج٣، ص٢٥١ مادة قصد.

التقسيم بلحاظ أسلوب كتابة التفسير من ناحية التوسع وعدمه الى المختصر والمتوسط والمفصل، او الاجمالي و التحليلي و المقارن؛ كما صنع الفيض الكاشاني في تفاسيره الثلاثة من المختصر الى المتوسط والى المفصل،وهي على الترتيب: الصافي والأصفى والمصفّى.

ومن ناحية تسلسله وتسلسل تفسير آياته الى:

الترتيبي والموضوعي.. وهكذا الترتيبي الى ترتيبي حسب الترتيب الحالي للقران وترتيبي حسب ترتيب نزوله، و التفسيرالموضوعي الى تفسير من الموضوع الى الايات وتفسير من الايات الى الموضوع..

وتقسيم بلحاظ تنظيمه الى تفسير متن ومزج وتفسير متن وشرح و....

وتقسيم بلحاظ الاختصاص وعدمه الى تفسير جامع وتفسير مختص (يختص فقط بايات الاحكام او بايات الاعجاز او...).

وتقسيم بلحاظ تمامه او نقصه الى التفسير الشامل (لكل القران) والتفسير الناقص (لبعض القران ثم التوقف لأي سبب كان مثل موت المفسر).

وتقسيم بلحاظ المذهب التفسيرية الى تفاسير الشيعة (التي تؤكد على الامامة والولاية والعصمة والرجعة والشفاعة وامثالها) وتفاسير الاشاعرة (التي تؤكد على الجبر وقبول الظواهر والميل للتجسيم)، وتفاسير المعتزلة (التي تؤكد على الاختيار والعقل والتأويلات) وتفاسير الزيدية و....

وتقسم بلحاظ المدارس التفسيرية (داخل المذهب الواحد) الى:

تفاسير المدرسة الامامية وتفاسير المدرسة الزيدية وتفاسير المدرسة الإسماعيلية و... فهي تفاسير الفرق الكلامية..

وهكذا يقسم التفسير ايضاً بحسب الألوان التفسيرية المعاصرة كالتفسير الجهادي والتفسير السياسي والتفسير..

واليك الان الأهم من هذه اللحاظات في اقسام التفسير، والتي تمثل اهم الجهات المعتمدة في تقسيم التفاسير[٦٤]، وهي اللحاظات الثلاثة الأولى فقط مما ذكرناه انفاً وذلك كله مراعاة للاختصار، وهي لحاظ المناهج التفسيرية، ولحاظ الاتجاهات التفسيرية، ولحاظ المعاني التفسيرية..

المناهج التفسيرية:

منهج تفسير القران الكريم هو (عبارة عن الكيفية التي بها يكشف عن معاني الايات ومداليلها)[٦٥] أي طريقة الاستفادة من ادوات ومصادر تفسير القران مثل القران نفسه، والروايات و العقل والاجتهاد الشخصي حسب الضوابط اللغوية والقرائن الحالية و المقالية و امثالها...

وبهذا يكون تقسيم التفاسير حسب المناهج التفسيرية الى التفسير القراني والتفسير الروائي والتفسير الاجتهادي العقلي و..

٦٤- راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، د. محمد علي الرضائي، ص١٩-٢١، المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني، ص٧٦، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير، اقسام التفسير.

٦٥- مناهج تفسير القران، كمال الحيدري، ص٣١.

وعليه يمكن تعريف منهج التفسير باختصار على انه: كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد ايات القران الكريم ومدى الاعتماد على هذا المصدر او ذلك والاستفادة منه في تفسير الايات[٦٦].

ان منهج كل مفسر في تفسيره يتعين من خلال طريقة المفسر في التفسير والاداة والوسيلة التي يعتمدها في كشف معاني القرآن وبيان مداليل الايات، وعادة تكون هذه الأدوات والوسائل نقلية او عقلية[٦٧].

فالفرق بين التفسير ومناهج التفسير هو ان التفسير كشف معاني القرآن وبيان مداليل الايات، بينما منهج التفسير هو الطريقة التي يتم بها هذا الكشف والبيان ومدى استخدام الأدوات والوسائل الخاصة بذلك.

وبناءاً على هذا فاذا اعتمد المفسر في تفسيره للقرآن على القرآن نفسه بشكل اساسي فهو تفسير قرآني، مثل تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، والتفسير القرآني للقرآن للعلامة محمد الصادقي الطهراني.

واذا اعتمد في التفسير على الروايات التفسيرية وما ورد في السنة الشريفة عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- واهل البيت -عليهم السلام- فهو تفسير روائي (اثري)، مثل تفسير البرهان للعلامة البحراني، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي.

واذا اعتمد في التفسير على الاجتهاد والعقل والاستنباط حسب القواعد والضوابط والقرائن والظواهر وامثالها فهو تفسير عقلي اجتهادي، مثل تفسير التبيان للشيخ الطوسي وروح المعاني للالوسي واغلب تفاسير المعتزلة مثل تفسير مسلم بن بحر الاصفهاني ويمكن اعتبار تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي -قدس سره- تفسيرا عقليا اجتهاديا أيضا.

وهناك من يتوسع[٦٨] في ذكر الأمثلة والاقسام للتفسير في منهجيه النقلي والعقلي الاجتهادي، فيعد مثلا أن من أنواع واقسام التفسير العقلي الاجتهادي هو التفسير في ظل المدارس الكلامية، وهو ما يمكن ان يصطلح عليه التفسير الكلامي (العقدي) الذي يهتم بالايات التي تتحدث عن العقيدة بمختلف تفاصيلها وتشعباتها، فيفسرها بما يشبه التفسير الموضوعي الذي يتمحور حول موضوع معين ويجمع ما يخصه من ايات ويخرج منها بنتيجة معينة يمكن اعتبارها النظرية القرآنية أو رأي القرآن حول ذلك الموضوع..

من تأويلات المعتزلة:

من امثلة ذلك ما تتأوله المعتزلة في تفاسيرها عن الشفاعة وعن مرتكب الكبيرة وما شابه ذلك بحيث تحاول بكل ما تستطيع ان تلوي اعناق الايات وتجرها جراً نحو معتقدها الخاص ليتخذوها دليلا قرآنياً على ما يعتقدون.

ففي مفهوم الشفاعة مثلاً التزم المعتزلة بان الشفاعة ليس لغفران الذنوب وتكفير السيئات كما هو متعارف عند عموم المسلمين، بل هي مجرد لرفع الدرجات واعلاء المنازل في الجنة، وان أصحاب الذنوب

٦٦- للمزيد راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، د. محمد علي الرضائي، ص١٨.

٦٧- راجع: المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني، ص٧٥.

٦٨- راجع: المصدر السابق، ص٧٧- ١٦٣ / المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير، ص٨٩- ١٣٠.

والكبائر إذا ماتوا وهم على معاصيهم دون التوبة عنها فهم في النار بل هم مخلدون فيها[٦٩]! و استدلوا لذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾[٧٠].

فالشفاعة لا تنال الا من تاب عن ذنوبه فاستحق الجنة بعمله ثم تاتيه الشفاعة لاجل رفع منزلته وزيادة فضله ودرجته في الجنة!

وبناءاً على ذلك فان مرتكب الكبائر اذا مات دون توبة فهو مخلد في النار وان كان مؤمنا في عقيدته وله اعمال صالحة وحسنات كثيرة وحاولوا الاستدلال لذلك بايتين:

الأولى: ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب﴾[٧١]

بزعم ان الظلم هنا هو الذنوب الصغيرة المغتفرة او الكبيرة بشرط التوبة قبل الموت.

الثانية: ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾[٧٢]

بزعم ان المعنى هو ان الله تعالى لا يغفر لمن يشاء الشرك دون توبة ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك اذا تاب!!

بينما الصحيح هو عدم امكان الجزم بان مرتكب الكبيرة مخلد في النار ولو مات بلا توبة لان امره حينئذ بيد الله تعالى ان يشاء يرحمه باي سبب من أسباب الرحمة كالشفاعة وغيرها او ان يكتف بتعذيبه في الدنيا بالابتلاءات والعذابات كالفقر والمرض والخوف وامثال ذلك، وان يشأ يعذبه في النار لفترة معينة ثم يعفو عنه ويدخله الجنة، وقد يخلد في النار ايضاً، فكل ذلك في النهاية راجع اليه تعالى ولا نستطيع الجزم والقطع به وذلك لوجود ايات اخرى تدل عليه او روايات و اخبار عن المعصومين -عليهم السلام- تؤيد ذلك.

مناهج ام اتجاهات؟

وهكذا تُذكر اقسام اخرى ايضاً غير ماتقدم تعدُّ منهجاً مستقلاً احياناً في قبال المناهج القرانية والروائية والعقلية؛ واحياناً اخرى تعدُّ ضمن منهج التفسير العقلي الاجتهادي، وذلك مثل ما يُعرف بالمنهج العلمي حيث يُنتج التفسير العلمي، والذي يؤكد عموماً على الظواهر العلمية وربط الايات بما فيها من حقائق علمية بالنظريات العلمية والاكتشافات الحديثة، وكذلك التفسير الصوفي او التفسير العرفاني الذي يؤكد بدوره على المعاني العرفانية او الغيبية وربطها بالنظريات والاراء الفلسفية او الاعتقادات الصوفية وسلوكياتها الخاصة..

وكذلك التفسير الاخلاقي او التربوي او الاجتماعي الذي يؤكد على مافي القران الكريم من مفاهيم اخلاقية او تربوية او تشخيص وحل لمشكلة اجتماعية معينة... وهكذا

في حين انّ الصحيح كما تقدم هو أن تعتبر كل واحدة من هذه الاقسام المذكورة نوعاً من التفسير العقلي والاجتهادي وليس قسيما له، لأنها في الواقع اقساما لما يمكن ان يعرف بالاتجاهات التفسرية وهي

٦٩- راجع: الاصول الخمسة، القاضي عبد الجبارالمعتزلي، ص٦٨١ -٦٩٠.
٧٠- سورة البقرة من الاية ٢٥٤.
٧١- سورة الرعد من الاية ٦.
٧٢- سورة النساء من الاية ٤٨.

التي تمثل ميول ورغبات كل مفسر في بحثه في القران الكريم حسب تخصصه واهدافه واهتماماته، وسيأتي الحديث عن ذلك..

وكذلك لم يخلُ التفسير النقلي (القرآني والروائي) من هذا التسامح حيث نسبت إليه اقساماً مثل التفسير اللغوي والبلاغي او التفسير التاريخي او التفسير الفقهي وما شابه ذلك، بينما تمثل كل هذه الاقسام الاتجاهات التفسيرية المتنوعة وليست مناهج التفسير المتقدمة.. والاكثر من ذلك قد ذكروا أحياناً مايعرف بمنهج التفسير بالرأي كأحد المناهج التفسيرية رغم ان ذلك ليس قسيماً لهذه المناهج بل هو تخبط اعمى وتوجه عشوائي نحو تفسير القران فلا يستحق ان يعد منها فضلاً عن عده منهجاً وذلك لأنه مرفوض شرعياً وعلمياً..

اما شرعياً فلقول النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- المتواتر المتفق عليه: (من فسر القران برأيه فليتبوأ مقعده من النار)[٧٣] وامثال ذلك[٧٤].

واما علمياً فلانه رأي شخصي يستمد من المرتكزات الذهنية والمتبنيات القبْلية، بل قد تكون ايضاً من الاهواء الشخصية والمصالح الذاتية والتوجهات المذهبية والسياسية وغيرها، ولا يعتمد على اسس علمية قائمة على الاستدلال والحجة والبرهان، وعليه فلا قيمة لهكذا نوع من التفاسير من الناحية العلمية والموضوعية.

وقد يوضع احياناً ما يعرف بالمنهج الموضوعي قسيماً لهذه المناهج ايضاً، وهو في الواقع ليس بمنهج ولا قسيم المناهج التفسيرية او قسماً منها ولا هو لون من الوان الاتجاهات التفسيرية، انما هو نوع من انواع واساليب كتابة التفسير وتنظيمه، قبال التفسير الترتيبي الذي يتسلسل بتفسير السور والايات من الفاتحة الى الناس، ولا يأخذ كل موضوع واياته الخاصة على حده وما شابه ذلك من طرق التفسير الموضوعي.

وهناك ما يمكن ان يطلق عليه المنهج الاجتماعي في تفسير القران، وهو لون من الوان التفاسير المعاصرة، ويمكن ان يطلق عليه ايضاً بالمنهج التوفيقي[٧٥] لانه يحاول التوفيق بين مفاهيم الاسلام عموماً وايات القران خصوصاً وبين المفاهيم المعاصرة ومتطلبات الحياة والحضارة والثقافات الجديدة، والغاية هو ايجاد الترابط والانسجام بين مفاهيم الاسلام والمفاهيم الغربية عموما لاجل حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة اولاجل دفع الشبهات عن الاسلام وعن المسلمين، وكان من ابرز هذه التفاسير التي اتجهت نحو هذا المنحى تفسير المنار الذي ابتدأ به الشيخ محمد عبده ثم اكمله تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، وكذلك تفسير الامثل الذي انجز باشراف الشيخ مكارم الشيرازي وبجهود متنوعة الاختصاصات لعشرة علماء، والحق ان ذلك لا يعد من المناهج التفسيرية ايضاً بل هو لون من الوان الاتجاهات التفسيرية المتنوعة التي تسعى لتحقيق غاية معينة منسجمة من توجهات ورغبات المفسر نفسه كما اوضحنا، وعدم انطباق ضابطة المنهج التفسيري الذي عرفناه انفاً.

٧٣- التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج٧، ص١٥٥، تفسيرالميزان، العلامة الطباطبائي،ج٣، ص٤٢.

٧٤- راجع: عوالي اللآلئ، ابن ابي جمهور، ج ٤ ص ٣٧، جامع الاخبار، ص١٣.

٧٥- راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، محمد علي رضائي، ص٢٢.

الاتجاهات التفسيرية:

الاتجاه التفسيري: تأثير الاعتقادات الدِّينية، الكلاميّة، والاتجاهات العصريّة وأساليب كتابة التفسير على تفسير المفسر[٧٦]

اما المنهج التفسيري فكما قلنا سابقاً بأنه توضيح معاني القرآن باستخدام الأدوات التفسيرية (العقل و النقل).

فالفارق بين المناهج والاتجاهات هو ان المنهج التفسيري يستخدم فيه المفسِّر لبيان معاني الآيات ورفع إبهامها أحد الأدوات التفسيرية وهي إما العقل أو النقل أو كليهما؛ فيعتمد في تفسير آيات القرآن على القرآن الكريم نفسه، أو على السنّة الشريفة، أو على كليهما، أو غيرهما، فالعلامة الطبطبائي في تفسير الميزان مثلا يستخدم النقل في كشف الآيات القرآنية فيعتمد على الآية لتوضيح الآية فمنهجه هو تفسير القران بالقران..

وأمّا في الاتجاهات التفسيريّة فان المفسِّر يبحث في تفسيره عن اهتماماته بحسب قدرته؛ فيتّجه إلى إيضاح المادّة القرآنية تارة من حيث اللغة، وأُخرى يعتني بآيات الأحكام، وثالثة يصبّ اهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، أو يهتمّ بالأبحاث الأخلاقيّة وغيرها.

وبناءاً على ذلك يمكن القول بأن الاتجاه التفسيري هو: اختيار المفسر لنوع معين من الأبحاث التي يؤكد عليها اكثر من غيرها حسب ميوله عند تفسيره للقرآن، وتمثل عادة غايته من التفسير ورغبته واهتماماته الخاصة او حاجة مجتمعه بغض النظر عن الطريقة والمنهج او أسلوب الكتابة والمدرسة التي ينتمي اليها..

فالاتجاه التفسيري يمثل مدى تأثير ميول المفسر وتخصصه واهتمامه بجانب معين اكثر من غيره وبهذا يكون تنوع التفاسير بين الاتجاه الفقهي والاتجاه الكلامي والاتجاه النحوي والاتجاه الفلسفي وامثالها، وبهذا يكون التفسير نفسه فقهيا او كلاميا او نحويا او علميا او فلسفيا، او ان يكون جامعا مهما امكن بين اكثر من اتجاه حسب قدرة المفسر وجهده وميوله واهدافه، فيكون التفسير جامعاً.

وعليه فلابد من ملاحظة ذلك الاختلاف بين المنهج و الاتجاه عند تقسيم التفاسير، ولابد من ملاحظة جهة تقسيم خاصة، حيث تتنوع التفاسير حسب جهة التقسيم ولا تتداخل الجهات، فاذا قلنا ان جهة التقسيم هي المنهج التفسيري فالتفاسير تتنوع بين التفسير القرآني للقرآن والتفسير الروائي او الاثري للقرآن والتفسير العقلي او الاجتهادي للقرآن..

اما اذا اخذنا الاتجاه التفسيري كجهة للتقسيم فالتفاسير تتنوع بين التفسير الفقهي والتفسير العلمي والتفسير الكلامي والتفسير الفلسفي والتفسير العرفاني، واذا لوحظ الاهتمام بجهات متعددة وعدم التركز على واحدة دون الجهات الأخرى فعندها يعرف بالتفسير الجامع..

فمثلا تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي هو تفسير قرآني جامع، بينما تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي تفسير اجتهادي لغوي، وهكذا.. ويمكن ان نمثل للتفاسير حسب اتجاهاتها التفسيرية[٧٧]:

٧٦- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، محمد علي رضائي، ص١٧.

٧٧- راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، محمد علي رضائي، ص١٨-٤١، المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني، ص٧٧ -١٦٣، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير، ص٨٩- ١٣٠.

فمثال التفسير الفقهي: تفسير الجامع لاحكام القران للقرطبي/ تفسير زبدة البيان في احكام القران للمقدس الاردبيلي وتفسير كنز العرفان في فقه القران للفاضل المقداد.

ومثال التفسير الكلامي: تفسير مفاتح الغيب للفخر الرازي/ تفسير التبيان للشيخ الطوسي.

ومثال التفسير اللغوي: تفسير مجمع البيان للعلامة الطبرسي.

ومثال التفسير الفلسفي: تفسير القران الكريم لصدر المتألهين الشيرازي (الملا صدرا)/ وتفسير القران الكريم لابن عربي.

ومثال التفسير العرفاني: تفسير تسنيم للشيخ جوادي أملي/ تفسير لطائف الإشارات للقشيري.

ومثال التفسير العلمي: تفسير الجواهر للطنطاوي الجوهري.

ومثال التفسير الادبي: تفسير الكشاف للزمخشري/ تفسير جوامع الجامع للعلامة الطبرسي.

ومثال التفسير الصوفي الشهودي: تفسير البحر المديد لابن عجيبة الاندلسي/ تفسير القران المجيد للتستري/ تفسير روح البيان لاسماعيل حقي البروسوي.

ومثال التفسير الجهادي السياسي: تفسير في ظلال القران لسيد قطب/ تفسير المبين لمحمد جواد مغنية.

ومثال التفسير التاريخي: تفسير الاء الرحمن للشيخ محمد جواد البلاغي/ تفسير حجة التفاسير وبلاغ الاكسير للشيخ عبد الحجة البلاغي.

ومثال التفسير الجامع: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور/ تفسير مواهب الرحمن للسيد عبد الأعلى السبزواري/ تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

ومثال التفسير الاجتماعي التحليلي: تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ تفسير أحسن الحديث للسيد علي أكبر القرشي/ تفسير النور لمحسن قراءتي.

ومثال تفسير اسباب النزول: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي/ تفسير أسباب النزول لعلي رضا ذكاوتي- وان كانت اسباب النزول هي من مباحث علوم القران، ومعرفتها توجد ادوات جديدة بيد المفسر للكشف عن المراد من الآيات، ولكن ذلك لايمنع من ان تكون اتجاهاً تفسيرياً خاصاً اذا ما اهتم المفسر لبحثها في تفسيره أكثر من إهتمامه بغيرها-

ومثال التفسير التربوي الاجتماعي: تفسير اطيب البيان للسيد عبد الحسين الطيب/ تفسير الكاشف محمد جواد مغنية.

ومثال التفسير التحليلي العصري: تفسير الكوثر للشيخ يعقوب جعفري/ تفسير الفرقان لمحمد صادقي طهراني.

وهكذا تتنوع التفاسير حسب توجهات مفسريها واهتماماتهم، ووفق الاهداف التي من اجلها كتبت.

المعاني التفسيرية: والمقصود منها هو مدى امكان فهم معاني الايات ومفاهيمها وكشف مقاصدها ومداليلها وتحديد مصاديقها واوقاتها، وهذه تمثل جهة اخرى من جهات تقسيم التفسير غير المناهج والاتجاهات وامثالها.

لأن الآيات تختلف عن بعضها في سهولة فهمها واستظهارها ومساعدة القرائن عليها وصعوبة ذلك أحيانا، بل قد لا يتيسر الا من كلام المعصوم -عليه السلام- وتفسيره نبياً كان ام غيره، وقد تبقى الايات في

متناول الاحتمالات والوجوه والاراء كل حسب فهمه ودليله، او من اشارات معينة تصريحية او تلميحية من القران نفسه حيث يفسر بعضه بعضاً...

وبناء على ذلك فقد قسم ابن عباس التفسير على أربعة وجوه[٧٨]:

١- تفسير تعرفه العرب من كلامها: ويمكن التمثيل لابن عباس في ذلك بقوله تعالى: ﴿وما يملكون من قطمير﴾[٧٩]، ﴿يوم يدعّون الى نار جهنم دعّا﴾[٨٠].

٢- تفسير لا يعذر احد بجهالته: ويمكن التمثيل له في ذلك بالايات المنصوصة الصريحة التي يمكن فهمها بسهوله ويسر لكل من يعرف العربية عربيا كان ام غيره، مثل قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[٨١]، ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾[٨٢].

٣- تفسير يعلمه العلماء خاصة: ويمكن التمثيل له في ذلك بالايات التي نعتمد في فهمها على الروايات التفسيرية للمعصومين -عليهم السلام- لانهم سادة العلماء وافضلهم، مثل اكثر ايات الاحكام التي لا تفهم العرف تفاصيلها الا من السنة الشريفة كأقوال الرسول والعترة -عليهم السلام-، وذلك كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[٨٣].

٤- تفسير لا يعلمه الا الله: ويمكن التمثيل له في ذلك بالحروف المقطعة وبوقت القيامة، وحقيقة الروح والارزاق والاجال وما شابه من هذه الأمور الغيبية التي يصرح القران بان فهم حقيقتها واوقاتها ومصاديقها بيده تعالى وحده، مثل قوله تعالى: ﴿ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا﴾[٨٤]، ﴿يسألونك عن الساعة ايّان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها﴾[٨٥].

والظاهر ان هذا هو مراد ابن عباس من القسم الرابع بالذات، حيث لا يعلم الا الله وقته وحقيقته، اما المفهوم نفسه والدلالة التصورية للالفاظ فلا يمكن ان نجهل معناها أيضا والا لم يكن القرآن كتاب هداية للمجتمع ولا حجة عليهم.

فكيف يكون هاديا وحجة نحتج به ومرجعا يلجأ اليه وفصلا للخطاب والخلاف اذا كان جزء كبير منه مبهم ولا يعلمه الا الله بحيث يخفى حتى على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- الذي جاء به الينا وقد نزل عليه ابتداءا، وحتى على اله الكرام البررة المعصومين الخيرة، وهم ساسة البلاد والحجة على العباد والموكلون بالحفاظ على الشريعة ودستورها القران الكريم وشرحه وتفصيله وصيانته من التحريف والتشويه.

٧٨- راجع البرهان في علوم القران للزركشي، ج٢، ص١٦٢.
٧٩- سورة فاطر، من الاية ١٣.
٨٠- سورة الطور، من الاية ١٣.
٨١- سورة الاعراف من الاية ٣١.
٨٢- سورة البقرة من الاية ٨٢.
٨٣- سورة البقرة من الاية ١٨٣.
٨٤- سورة الاسراء من الاية ٨٥.
٨٥- سورة النازعات من الاية ٤٢- ٤٤.

وقد ذكر اخرون تقسيمات متشابهة او مقاربة لما ذكره ابن عباس من الجهة نفسها في امكان فهمه وتفسيره وعدمه كالشيخ الطوسي –قدس سره– في تفسير التبيان وابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، وغيرهم.

ولكن الاصح ان هذه التقسيمات المذكورة وامثالها ما دامت بمقسم امكان التفسير مباشرة او بعد التامل والوسائل وعدم امكان ذلك فهو من باب تقسيم الكل الى اجزائه، أي تقسيم التفسير الواحد من أي منهج تفسيري كان ومن أي اتجاه كان او لون او أسلوب الى أجزاء مختلفة فبعضه يسهل فهمه وبعضه يصعب وبعضه محتمل وبعضه يستحيل، بينما المطلوب هو تقسيم التفاسير الى أنواع..

ومع ذلك فاذا اردنا تقسيم التفسير الواحد بملاحظة معاني الفاظه واياته وسهولة فهمها وعدمه فلا نحتاج الى اقسام أربعة او اكثر على النحو المتقدم لابن عباس –رضي الله عنه– او غيره بل يكفي تقسيم تفسيرنا للقرآن تبعا لتقسيم القرآن نفسه الى محكم ومتشابه، فالمحكم: ما لا تعرض فيه شبهة لفظا ولا معنى[٨٦]..

فهو المتقن في المعنى فلا يحتمل وجوها لان دلالته واضحة فيه، أي دلالة اللفظ واضحة في المعنى..

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل...﴾[٨٧].

ومثل قوله تعالى: ﴿وما كان ربك نسيا﴾[٨٨]، واية: ﴿ليس كمثله شيء﴾[٨٩].

والمتشابه: هو ما لا يُنبأ ظاهره عن المراد[٩٠].

فهو المتماثل مع غيره في المعنى، أي تماثل وجوه الكلام بعضها مع بعض فتجمل الوجوه وتتعدد المعاني ومحتملاتها...

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾[٩١]، ﴿ثم استوى على العرش﴾[٩٢].

والأفضل ان نقول كما قال الفخر الرازي في تمييزه بين المحكم والمتشابه[٩٣]، حيث قال:

المحكم: هو النص (الذي لا يحتمل وجوها أخرى) او الظاهر (الراجح المقدم على احتمال اخر اقل منه).

والمتشابه: هو المشترك في المعنى (المتساوي الاحتمالات) او المؤول (المرجوح وخلاف الظاهر).. الذي قد يرجح على الظاهر بقول المعصوم او بالقرائن العقلية واللفظية وامثالها.

وعليه فالايات المحكمة هي الآيات التي يمكن فهمها وكشف المراد منها بالنص الصريح او بالظاهر المقبول سواءا مباشرة بما نملكه من معرفة بالعربية ومعانيها وبلاغتها و بالقرائن الحالية والمقالية او بالاستعانة بكلام المعصوم–عليه السلام– وتوضيحه.

٨٦– راجع مفردات غريب القران، الراغب الاصفهاني، مادة حكم.
٨٧– سورة الفيل من الاية ١– ٢.
٨٨– سورة مريم من الاية ٦٤.
٨٩– سورة الشورى، من الاية ١١.
٩٠– راجع مفردات غريب القران الراغب الاصفهاني، مادة شبه.
٩١– سورة الفتح من الاية ١٠.
٩٢– سورة الأعراف من الاية ٥٤.
٩٣– راجع تفسير مفاتح الغيب، الفخر الرازي، ج٧، ص١٨٠.

اما الايات المتشابهة فهي الايات التي يمكن فهم عدة معاني منها ويصعب تشخيص احدها، او قد يستحيل تشخيص المصداق والوقت والتفاصيل المرادة منها فلا يعلم ذلك الا الله تعالى، الا انه يمكن تقريب احد معانيه وتغليبه على المعاني الأخرى من خلال ارجاعه الى المحكم الذي يحاكيه او ينظر اليه.

وبهذا نزل القران الكريم ليوضح هذه المسألة ويؤكد هذا التقسيم حيث قال تعالى: ﴿هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلم تأويله الا الله...﴾[٩٤].

وبناءاً على ذلك نقول ان هذا التقسيم للتفسير الواحد وهذا التعريف للمحكم و المتشابه وهذه الطريقة في التمييز بينهما هي الافضل؛ لأنها الاقرب للواقع ولفحوى الآية المتقدمة ولأنها الأنفع في التفسير وفهم معاني الآيات ومداليلها، ولو لأجل انها تقتضي تفسير القرآن بالقرآن وهي الطريقة المثلى عادة عند المعصومين -عليهم السلام- وعند اتباعهم من السلف الصالح رضوان الله عليهم.

نتيجة البحث:

لقد توصل هذا البحث الى اهم النتائج الآتية:

١- هناك آراء مختلفة في التفريق بين التفسير و التأويل وصلت الى مايقارب الخمسة عشر رأياً؛ الا انه يمكن استظهار انهما واحد في المعنى والواقع وفي المفهوم والمصاديق، خصوصاً على تعريف العلامة الطباطبائي للتفسير بأنه بيان معاني الايات القرانية وكشف مقاصدها ومداليلها.

٢- يمكن الرد الاجمالي على فحوى هذه الاراء المفرقة بين التفسير و التأويل بأن الوجدان والواقع العملي يشهدان بأن التفسير في حقيقته الذي يكشف عن المعنى المراد هو كاشف عن مصاديقها أيضا و بلا فرق بين كون هذا المصداق هو الأول أو كونه هو السبب للنزول وبين كونه يعبّر عن مصاديق أخرى يمكن ان ينطبق عليها المفهوم نفسه بعدما عرفنا ان السبب لا يخصص المسبب، او ان المورد لا يخصص الوارد، أي ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد تعارف ذلك عند الباحثين في أسباب النزول، قال الامام الباقر-عليه السلام-: (ان القران يجري فيهم كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء...)[٩٥]

اما هذا التوهم في الفرق بينهما فقد جاء بعد استعمال لفظة التأويل في محل التفسير عند بعض القدماء كمجاهد وأبو عبيده وابن عباس بل حتى عند أمثال ابن جرير الطبري وغيرهم، ولا مشاحة في الاصطلاح، فان التفسير و التأويل معرفة معاني الآيات والمقصود منها ومداليلها ومصاديقها سواءاً كانت من الظاهر او باللجوء الى الباطن اظطراراً.

٣- يمكن الاستدلال على عدم الفرق بين التفسير و التأويل عملياً بما يلي:

---

[٩٤]- سورة ال عمران من الاية ٧.

[٩٥]- بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٨٩، ص٩٧/ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص٢٢٢.

ان المعاني اللغوية والاصطلاحية للتفسير والتأويل[٩٦] تدل على تطابقهما او تقاربهما على الاقل، بحيث يظهر للمتأمل انهما يرجعان الى اصل ومعنى واحد، ولهذا صار كل من التفسير و التأويل بعهدة المفسر نفسه الذي لابد له من ان يعطي المعنى النهائي المراد للآية ظاهراً كان أم باطناً.

ان هذا التطابق ثابت عند القدماء الى حد الترادف عند الاستعمال، ومنهم ابن عباس وأبو عبيدة وأبو العباس المبرد ومجاهد والشيخ الطوسي وابن جرير الطبري وغيرهم[٩٧].. ومن المعلوم انهم أقرب للتشريع، بل عاش بعضهم زمن المعصوم -عليه السلام- فكيف لا يفهم الفرق بينهما ان كان، فلو كان لبان، ولاكد عليه المعصوم -عليه السلام- في كلامه وأوضح الفرق بينهما.

ثم ان بعض اللغويين المعتمدين قد صرح في معنى التفسير والتأويل بانهما واحد، مثل قول الجوهري: (التأويل: تفسير ما يؤول اليه الشيء)[٩٨] وقول الفيروزابادي: (اوّلَ الكلام تأويلاً وتأوّله: دبّره وقدره وفسره)[٩٩] وهكذا صنع ابن منظور في استعماله للتأويل بمعنى التفسير في مواضع متعددة[١٠٠].

وهكذا صنع العلامة معرفة حيث قال:(التأويل بمعنى الكشف عن المفهوم العام المختبأ وراء ستاراللفظ هو نوع تفسير يعني بالمفاهيم الباطنة، والتي تشكل رسالة الآية الخالدة يكشفها المفسر الخبير..)[١٠١]

وكذلك فان بعض المعصومين -عليهم السلام- لم يذكروا في نصوصهم الشريفة التفسير قبال التأويل، بل ذكروا التنزيل قبال التأويل، ويفهم منهم -عليهم السلام- انهم قصدوا بالتأويل التفسير نفسه، ثم ان القران الكريم يشهد على ذلك فقد وردت كلمة (تأويل) او ما يقاربها مثل (تأويله) و(تأويلاً) في عشرة مواضع كلها كانت (بمعنى تفسير) اما تفسير الايات او تفسير الالفاظ والاقوال او تفسير الاحلام وهكذا.

٤- ان التفسير و التاويل لما كانا بمعنى الكشف عن المعنى المقصود و توضيح المفاهيم الجدية المرادة من النص القراني (وبالتالي من أي نص آخر سماوي او أدبي او فني او غيره) فهذا يمكن ان يكون قريباً مما اراده الفيلسوف الالماني فردريك شليرماخر رائد الهرمنيوطيقا فيما عرف عنها من انها قواعد فهم النصوص (والمفروض ان تكون من خلال القرائن الحالية و المقالية و ظروف النص نفسه والاجواء المحيطة به وسبب صدوره ومنها معاني مفردات النص وثقافته السائدة في زمانه) ومما قصده دلتاي في منهجه التأويلي لنصوص اللاهوت؛ وهو ما يوضح العلاقة الحميمة التي لايمكن انكارها بين القصد و النص و التفسير (او الكاتب والمتن والناقد) وهذا مما يمكن قبوله في فهمنا للنصوص عامة و النص القراني خاصة وتحديد مصداقه وامكانية شموله لمصاديق اخرى حسب قاعدة الجري والتطبيق؛ وتنقيح المناط و مناسبات الحكم و الموضوع..

اما اذا كان المقصود من هذه القواعد في الهرمنيوطيقا المعاصرة عزل المؤلف عن نصه وترك قصده منه تماماً حين تفسير النص بحيث تكون النصوص أشبه بالقوالب الفارغة القابلة لأي معنى فلا يمكن قبول

٩٦- كما اوضحنا هذه المعاني بنصوصها في ص١ فراجع.

٩٧- راجع: مجمع البيان، الطبرسي ج١، ص١٠٣، الاتقان، السيوطي ج٤، ص١٦٥.، التبيان في تفسير القران، الطوسي، ج٣، ص٣٩٨.

٩٨- الصحاح في اللغة، ج١، ص٢٧.

٩٩- القاموس المحيط، ج١، مادة اول.

١٠٠- لسان العرب، ج٣، ص٢٣٨ وغيرها.

١٠١- التأويل، ص١٤.

ذلك، ولا يمكن مشابهته بالتفسير و التأويل كما عرفنا، لأن ذلك بأختصار سيوقع المفسر في تقويل المؤلف مالم يقله وتحميل النص مالايحتمله حينما يختلي بالنص المفسر وحده ويبتعد عن قصد مؤلفه فينفتح المجال امامه لتأويلات النص حسب ميوله و توجهاته الخاصة، وهذا بعينه الفوضى في فهم النصوص.

٥- ان التأويل حيث يكون تفسيراً للايات خلاف الظاهر والمتبادر منها؛ يمكن ان نقسمه على نوعين اساسين فمنها اضطراري ومنها اختياري...

الاضطراري: وهو التأويل الذي لابد من القول به وترك الظاهر من الايات، وذلك اذا كان الظاهر يتعارض مع العقل والعقيدة او العرف والذوق العام والمنطق السليم..

اما الاختياري: وهو التأويل الذي يمكن القول به من باب التوسع في المفهوم وفي المصاديق بدليل وحجة، ويمكن تركه والاخذ بالظاهر فقط مادام ليس فيه تعارض مع العقل او العقيدة او غيرها.

المصادر:

القرآن الكريم

١- الامالي، الشيخ الطوسي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٤١٤.

٢- الاتقان في علوم القران، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، منشورات ذوي القربى، قم،٢٠٠١م.

٣- اسباب النزول، الواحدي النيسابوري، الناشر: دار الاصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢.

٤- اشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد ابو زيد،الناشر: مؤمنون بلا حدود، القاهرة، ط١، ٢٠١٤ م.

٥- الاصول الخمسة، القاضي عبد الجبارالمعتزلي، تحقيق: فيصل بدير عون، جامعة الكويت، ط١، ١٩٩٨ م.

٦- أيسر التفاسير، الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠١٣ م.

٧- بحار الانوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٧، ٢٠١١ م.

٨- البرهان في علوم القران، الزركشي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، ١٩٧٢.

٩- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي، مكتبة الزهراء، ط١، ٢٠١٤ م.

١٠- التأويل في مختلف المذاهب و الاراء، محمد هادي معرفة، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، طهران، ط١، ٢٠٠٦ م.

١١- التبيان في تفسير القران، محمد بن الحسن الطوسي، دار احياء التراث العربي، قم، ط١، ٢٠١٧ م.

١٢- التعددية الدينية ومنطق التعايش، عبد الكريم سروش، تحقيق: عامر عبد زيد، الناشر: مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥.

١٣- تفسير القران العظيم، ابن كثير الدمشقي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ٢٠١٥.

١٤- تفسير الاصفى، الفيض الكاشاني، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٢، ١٤١٦ هـ.

١٥- تفسير روح المعاني، الالوسي، دار الطباعة المنيرية، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

١٦- تفسير المحرر الوجيز، ابن عطية، دار ابن حزم، بيروت،ط٣، ٢٠٠٥.
١٧- تفسير البحر المديد، ابن عجيبه الاندلسي، تحقيق: احمد القرشي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١.
١٨- تفسير انوار التنزيل و اسرار التأويل، البيضاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨.
١٩- تفسير التحرير و التنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس،ط١، ١٩٨٤ م.
٢٠- تفسير تنوير المقباس، عبد الله بن عباس،منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٢١- تفسير الكشاف، الزمخشري، الناشر: المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠١٣.
٢٢- تفسير النكت و العيون، ابو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.
٢٣- تفسير المنار، علي رشيد رضا، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤.
٢٤- التمهيد في علوم القران، محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، قم، ط١، ٢٠١١ م.
٢٥- جامع الاخبار، اقا بزرك الطهراني، نشر مدينة العلم للنشروالتوزيع، ط١.
٢٦- جامع البيان، الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٥ م.
٢٧- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.
٢٨- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، د. محمد علي الرضائي،نشر مركز المصطفى العالمي، قم، ط١، ٢٠١٤ م.
٢٩- دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة البعثة، طهران، ط١، ١٤١٨.
٣٠- شبكة جمعية مكنون- الانترنت.
٣١- الصحاح في اللغة، ابو بكر الرازي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧ م.
٣٢- عوالي اللآلئ، ابن ابي جمهور،الناشر:المكتبة المرعشية، قم، ط١، ١٩٨٣ م.
٣٣- الفصول المهمة في أصول الائمة، الحر العاملي، منشورات المكتبة المركزية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣ م.
٣٤- فهم القران، المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
٣٥- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.
٣٦- القبض و البسط في الشريعة (مقالة)، عبد الكريم سروش، ترجمة: دلال عباس،مجلة الاجتهاد، طهران، ٢٠٠٣.
٣٧- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤.
٣٨- المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.
٣٩- مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٠- مناهج تفسير القران، كمال الحيدري،مؤسسة الهدى، بيروت، ط١، ٢٠١٣ م.

٤١- موجز علوم القران، داوود العطار، مؤسسة الاعلمي،بيروت، ط٣، ١٩٩٥ م.
٤٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٥، ٢٠١١ م.
٤٣- المفردات، الراغب الاصفهاني، دار الشامية، دمشق، ط١، ١٤١٢.
٤٤- المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني،مؤسسة الامام الصادق، قم، ط١، ١٤٣٢.
٤٥- الموافقات، الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ٢٠٠٤ م.
٤٦- الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤١٧.
٤٧- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو الحسن النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
٤٨- وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، قم، ط٣، ١٩٩٦ م.